شهيد الحجارة

محمود علي السعيد

إلى الشهيد خليل الوزير

أفقٌ في سماءِ البلادِ انجلى
نجمةٌ شقّتِ الصدرَ
صرخةٌ فجّرت جسدَ الأرضِ مهرجاناً
طلقةٌ في ظلامِ السُهدِ
مجزرةٌ
رقصةٌ من جديدِ الفصولْ
أيُّها الرفضُ الفلسطينيُّ
يا ألقَ اخضرارِ العشبِ
إبّان اصفرار الموقفِ العربيِّ
أشعلتَ صدَرَ المراكبِ رؤيا
طارقٌ أنت انتشى فجأةً
ثم طارَ الرصاصْ
يا حقولَ الإجاصْ
وقفةٌ في تخومِ الموتِ
تشعلُ قهقهاتِ الموجِ في بحرٍ من الجثثِ
التي تنقشُ الأرضَ بقعةً تأوي إليها
تأوي ولا تأوي . . . فيا
أيُّها القلبُ الذي أثخنته الطعنةُ الأولى

أقولُ :

- ورقعةُ الشطرنجِ حنجرةٌ من الوجعِ الفلسطينيِّ
تصدحُ -
لغموا الشمسَ بالليلِ
فانفجرَ الفحمُ منجماً
يسرقُ الضوءَ من شقوقِ الحجارةْ
إنّها طلقةُ الجسارةْ
لغموا الريحَ بالدخانِ
فانطلقَ البرقُ سيِّداً
يرشقُ الماءَ في سديمِ الحضارةْ
إنّها طلقةُ الجسارةْ
لغموا لقمةَ العيشِ
فانتفضَ الجوعُ صرخةً
تنشرُ القهرَ في ابتهالاتِ الشوارع
واقفٌ كرماحِ الرجالِ حداً
يفضحُ الزيفَ
فالدماءُ الجديدةُ
تطرقُ المجلسَ العربيَّ عائلةً
تسوّي موقفَ العشاقِ خارطةً
يفيض الليلُ كالطلقاتِ مُنْشَرحاً
فتُمسي وجنةُ التاريخِ
جثةَ عالمٍ تحنو
على شرفاته الآفاق
ألا يا أيُّها القهرُ الذي
أضحى صلاةَ العاشقينَ
وقبلةَ الفقراء
أسرى إلى الحلقاتِ قاتلْ
وطنٌ تقيدهُ السلاسلْ
أيُّها الناسُ الذين يرَوْنَ
كيف الأصبع المجروحة الأهدابِ
تؤمنُ
كيف القتلُ يورقُ
كيف تشابُكُ الأضدادِ
يا وطنَ الرجال الصيدِ
رُطباً من الشجر التي
تُجنى ولا تُجنى . . .
إليكِ يا دمويةَ العينينِ
أرسلُ طلقتي الأولى
قصيدة عشقيَ الأولى
فلسطينُ التي تجتاح مقلتَها السيوفُ
ونهرُ حجارةِ الأطفالِ
يا ولَهَ الصدارةِ
ضاعَ قرصُ الشمسِ في أفقِ الدُمى
يا زعاماتِ العربْ
يا كباراً في التوجّهِ
وصغاراً في المواقفِ
طفلةٌ نادت من الآبار أُمّاً
فاعتلى الغسقَ المدمّى وردةً
طارت من الجرحِ الفلسطيني
أقصدُ : جرحكَ الراعفَ يا نهر الحجارة
يا رخاوةَ عصرنا العربيِّ
يا ورقاً تساقطَ
قبلَ أن يأتي خريفُ المجزرةْ
ماذا ستثمرُ رقعةُ الرفض الفلسطيني ؟
ماذا ستعطي بقعةُ الموت الفلسطيني ؟
فجوةُ الصبح الذي انتفضت خلاياهُ
قولي فلسطينُ الجديدةُ
غصبَ صكِ البيعِ
في وضحِ اشتعال الوردِ
في خديكِ
من خاصَ ساقيةَ السلامةِ
واحتمى . . .
قبلةٌ تدمي انفراط العقدِ
في عنقِ الصداقة
قولي فلسطينُ القديمةُ
من سار خلف جنازةِ
الوجعِ الفلسطينيِّ سمسرةً ؟!

من جنّد الإعلامَ معركةً ؟
صاحَ وقلبه بالحقدِ مشتعلٌ
فضجت دمعةُ التمساح
أسقط ما تمخضَ عن قريحةِ
صفقةِ التجار
يا عرّاب عصر الفسقِ
عصر البيعِ والصفقاتِ
عن قريحةِ عصرِ هذا العصرِ
والأصنامُ في خسرٍ
إليكِ الرقصةَ الأولى
نصيءُ الليلَ قافلةٌ من النجماتِ
باقاتٌ من الفرحِ الذي
يسكنُ الأعصابَ غصبَ توجه المأساةِ
نحو الغيمِ
نحو الشمسِ
نحو المحور الأرضيْ
يا وجوهَ المقصلة
إنّه القتلُ صغيراً
طفلةَ كانَ
وأقصدها الرجولةْ
إنّه القتلُ كبيراً
رجلاً كانَ
جبلاً كانَ
وأقصدها
ينالُ الرايةَ الحمراءَ فرسانُ القبيلةْ
ضاقتِ الساحةُ في عينيكَ
أيُّها السيفُ الذي
يرفعُ التحريرَ بارقةً
وأرضَ العشقِ جوهرةً
وينقلُ للمسافر
كلَّ ما تحوي المحطاتُ القريبةُ
كلَّ ما يجتاحُ هذا الكوكب الوردي
أيُّها الحطبُ المجلّي
فيكَ ما يحتاجهُ الموقدُ

للفصول القادمة
أيُّها المطرُ المعافى
فيكَ ما تلقاهُ عدلاً
قصةُ الطوفان في نوحٍ
قصةُ الزنجِ الذينَ
يجسّدون مسارحَ الأحلام طُراً
قصةُ المذبوح يشعلُ
بالبطاقات الأنيقةِ
وردةً حمراء
أيُّها الهنديُّ
مصلوبَ حكم العدم في روما
وحكم الظلم في روما
ومرهونٌ ـ وربِ قصيدة الإعدام ـ
لحكم الفارس العربي
أيّهذا الحلمُ
لو إطراقة شفقيّة الأحداقْ
يقظة سكرة الأوراقْ
ماذا تساوي القبلةُ الحمراءُ
لولا الثغر
قصةُ العشاق لولا النظرة الأولى
ماذا يساوي الربُّ
لولا الخلق يا عصفورة الكلمات
ماذا تساوي راجماتُ العرشِ
في عبدٍ تشظّى
خلف متراسِ المخيمِ صارخاً
آلةُ القمعِ المبرمج
أيُّها القتلُ الذي
تجهلُ اللعبَ المجنّحَ
في ارتعاشاتِ الإشارةْ
ملت الأجسادُ مرتبةَ التصوفِ
ضاقتِ الأرضُ بجلدِ الأرضِ
مهجتها بموجِ الرفضِ
إنّه حرفُ انصهار الشمعِ
في صوتِ الشرارةْ

هاتِ الفواكه غضةً
يا أيُّها الفصلُ الذي
ألهبتَ في وجع المسافةِ
غصنَ زيتونٍ لهُ
من الآياتِ قلب النسرِ
وهو يمسكُ
شاهقَ الجبلِ المطرّزِ
إنّه عرسُ الحجارةْ
هاجسٌ أن يستبيحَ الربُ
في قتلٍ بطيءٍ شعلةَ الفقراء
في قتلٍ سريعٍ شعلةَ الطلقة
من ذا يعاقرُ مفرداتِ الربِّ
في روما
(نيرونُ ماتَ ولم تمت روما)
آهِ يا ورد الربيعِ المرّ
يا وردَ الخريفِ الحلو
يا ورد الفصول الأربعة
نبضاتُ عصر الشعبِ
في قلبِ الجهاتِ الستِ
تستشري
لتعلنَ :
أن تحلّق الأحلام خلف العرشِ
لافطةً غزاها الشيبُ
قبل تفتّح الوجناتْ
أفواجٌ ـ ولم ترعشْ لها شفةٌ ـ
من القُبلاتْ
ساقيةٌ من الفصحى
تصفّقُ :
أطلقِ الكبريتَ في الحرج المسجّى
صاعقَ الموتِ
لتخفقَ في فصولِ
المطلقِ الريّانِ
أشرعةُ الخلاصْ
إنّهُ عرسُ الرصاصْ